# (١١)

# هل لا تزال ثورة يوليو تصلح عيداً وطنياً لمصر؟

لكل دولة عيدها القومي، فالعيد القومي أو اليوم الوطني للسعودية هو تاريخ قيام المملكة عام ١٩٣٣، واليوم الوطني في دول الخليج الأخرى هو يوم إعلان الاستقلال عن بريطانيا. أما اليوم الوطني لإسرائيل فهو يوم نكبة فلسطين، فهو اليوم الذي قامت فيه إسرائيل على جثة الفلسطينيين.

واليوم الوطني لفرنسا هو الثورة الفرنسية، كما أن اليوم الوطني للولايات المتحدة هو يوم إعلان الولايات المتحدة ودستورها وهكذا بالنسبة لجميع دول العالم.

وفي مصر أصبح يوم قيام الثورة هو عيدها الوطني، ولا مانع من الاحتفال بعد ذلك بعدد آخر من الأعياد مثل نصر أكتوبر ورمضان، وثورة مايو التي كانت مصر السادات تحتفل بها باعتبارها نصرا للسادات على الجناح الناصري الذي أبدى عدم التعاون معه.

لدينا أيضاً تاريخ اتفاقية الجلاء وتاريخ إعلان الجمهورية. ونظرا لتعقد فصول التاريخ المصري فإن تاريخ إبرام اتفاقية جلاء القوات البريطانية عن مصر ليس هو تاريخ الاستقلال كما هو مألوف في دول أخرى، لأن بريطانيا ادعت أن مصر قد أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة عام ١٩٢٢ رغم أنها لم تتمتع بأي قسط من السيادة أو الاستقلال تماماً كما تفعل واشنطن الآن مع العراق، ولذلك قد لايصلح هذا التاريخ عيدا وطنياً لمصر.

أما إعلان الجمهورية والانتصار على الملكية وإزالتها، فقد سمح تاريخ مصر المعاصر للمراقبين بأن يترحموا على أشياء أساسية في العصر الملكي أهمها حساسية الحكم لاتجاهات الرأي العام، وحساسية الحكومات اتجاه النقد، فضلاً عن أن عدم تداول السلطة بطريقة سلمية وعدم محاسبة القيادة السياسية طمس أي فارق بين النظام الملكي والنظام الجمهوري.

ولا شك أن ٦أكتوبر في ذاته له دلالة حاسمة في قرار التحرير من الغصب السياسي والنفسي قبل الغصب الإقليمي للعدو الإسرائيلي، وسيظل دلالة هذا اليوم كذلك، كما تظل دلالة الانتصار في معركة طابا القانونية.

والحق أن ثورة يوليو قد انتهت بنهاية جمال عبد الناصر، حيث ماتت عام ١٩٦٧ أو في أحسن الفروض دفنت مع عبدالناصر عام ١٩٧٠، وهي مجرد محطة في تاريخ مصر الحديث لا بد من الاعتزاز بها رغم أخطاء قادتها، ولكن الخطر هو أنها فتحت الباب للاحتفال السنوي بها وقد انعكست تماما كل المبادئ التي طالبت بها وسارت مصر في الاتجاه المعاكس لهذه المبادئ.

وإذا كانت ثورة يوليو قد ولدت في رحم الهزيمة الأولى أمام المشروع الصهيوني في فلسطين عام ١٩٤٨ أي أن الثورة هي المعادل العربي لهذا المشروع، فإن هزيمة هذا المشروع لهذه الثورة عام ١٩٦٧ قد سمح بأن يحضر رموز المشروع الصهيوني احتفال السفارة المصرية في إسرائيل بذكرى الثورة، فهل حضروا ذكرى ثورة يوليو التحريرية من كل قيد على سيادة مصر وقيادتها للعالم العربي، أم حضروا الذكرى السنوية لوفاة هذه الثورة، وكان الأولى والحال كذلك أن يقيم نتانياهو هذه الذكرى وأن يدعو فيها السفير المصري احتفاء بهذه المناسبة السعيدة التي أصبح الخطاب السياسي المصري يتحدث عن إسرائيل بصفتها حليفاً، وسوف يضيق المقام عن تعداد أمثلة ذلك مما يجب ألا يغيب عن فطنة المؤرخين المعاصرين، لكن يكفي أن نشير إلى تصريح في يونيو ٢٠٠٩ لنتانياهو يؤكد فيه أن إسرائيل سحقت مصر عام ١٩٧٣ خلال عدوان مصر "الغادر" على إسرائيل يوم عيدها في يوم الغفران ولذلك زحفت مصر المهزومة والمسحوقة على ركبتيها طلباً للسلام مع إسرائيل وهذا هو درس بليغ كما يقول نتانياهو وهو أن السلام مع الفلسطينيين لا بد أن يسبقه سحقهم حتى يطلبوا السلام وهم ضارعون خاشعون، لأن السلام في المنطق الصهيوني لا تصنعه إلا القوة والنصر على العدو وليس المداولات والصياغات والوساطات العقيمة التي لا بد أن تعكس ميزان القوة المائل دائما لصالح إسرائيل.

هذا التقييم الصهيوني لحرب ١٩٧٣ لا يمنع شهادة شارون في مذكراته لصالح الجيش المصري الذي أتيح له أن يخوض حرباً حقيقية في ذلك العام لأول مرة في تاريخه المعاصر.

أليس غريباً أن يرفع الناس في مصر والعالم العربي حتى الآن صور عبدالناصر ويحتفل القوميون بثورة يوليو التحررية في عودة إلى الماضي هروباً إليه من الحاضر؟ أليس في ذلك رسالة قبل أن يرفع الستار ويصدر التاريخ حكمه القاسي؟